

## تمهيد

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وعلى التابعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ، فإن أصحاب رسول الله ﷺ المستقرين بمكة لم يكونوا - أول الأمر - من فقهاء الصحابة الكبار ولا من محدثيهم ، أو قرائهم ومفسريهم ؛ لأن معظمهم أسلم عام الفتح ، ولم يلزم رسول الله ﷺ مدة طويلة تؤهله ليحمل صفة فقيه ، أو محدث ، أو مفسر ، أو قارئ .

وبين أيدينا - اليوم - من الوثائق ما يسمح لنا أن نقرر - باطمئنان - أن بداية الدرس في الإقراء والتفسير والحديث والفقہ ... بمكة كانت مع نزول عبد الله بن عباس (ت ٦٨ هـ) { بها : فأهل التراجم الذين اعتنوا بإحصاء طبقات علماء الصحابة والتابعين وفقهاء الأمصار يبدؤون في مكة بعبد الله بن عباس .

وبه بدأ الفاكهي عند حديثه عن فقهاء مكة في كتابه «أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه»<sup>(١)</sup> ، وروى بسنده عن ابن أبيجر<sup>(٢)</sup> ، قال : «إنما فقه أهل مكة حين نزل ابن عباس { بأظهرهم»<sup>(٣)</sup> .

(١) ينظر : ٣٣٩ / ١ وما بعدها .

(٢) هو عبد الملك بن سعيد بن حيان بن أبيجر الكوفي . أخذ عن عكرمة مولى ابن عباس وأبي إسحاق السبيعي ، وأخذ عنه السفينانان : ابن عيينة والثوري . ينظر : تهذيب التهذيب : ٦١٢ / ٢ .

(٣) أخبار مكة للفاكهي : ١ / ٣٤٠ رقم الخبر ١٦٢٧ .

وكان شخوص ابن عباس إلى مكة - موطنه الأصلي - بعد سنة أربعين للهجرة . وكان قبل ذلك مع علي عليه السلام بالعراق . وقد ولاه وقتا على البصرة .

وكان يترك أثرا طيبا في كل مصر ينزله : يروي ابن سعد بسنده عن الحسن البصري أن ابن عباس قرأ ، وهو بالبصرة ، سورة البقرة ففسرها آية آية . وقال الحسن البصري أيضا : « وكان مثجة <sup>(١)</sup> كثير العلم » <sup>(٢)</sup> .

وهذا الوصف من الحسن لابن عباس ترجمه ابن سعد في رواية له عن عطاء بن أبي رباح <sup>(٣)</sup> قال : « كان ناس يأتون ابن عباس للشعر ، وناس للأنسب ، وناس لأيام العرب ووقائعها ؛ فما منهم من صنف إلا يقبل عليه بما شاء » <sup>(٤)</sup> .

ويزيد الفاكهي بسنده عن عطاء تخصصات أخرى ، قال عطاء : « ما رأيت مجلسا أكرم من مجلس ابن عباس } أكثر فقها ، وأعظم جفنة <sup>(٥)</sup> ، أصحاب القرآن عنده يسألونه ، وأصحاب الغريب عنده يسألونه ، وأصحاب الشعر عنده يسألونه ؛ فكلهم يصدر عن رأي واسع » <sup>(٦)</sup> .

ووقعت لابن سعد رواية أخرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة يسرد فيها

(١) أي : خطيبا مفوها . ينظر المعجم الوسيط (مادة : ثج) .

(٢) طبقات ابن سعد : ٢٧/٢ . (ذكر من كان يفتي بالمدينة ويقتدى به) .

(٣) وهو من المكيين الذين تتلمذوا على ابن عباس ، كما سيأتي .

(٤) طبقات ابن سعد : ٢٧/٢ .

(٥) كناية عن الكرم . فالجفنة هي القصعة . وتطلق أيضا على الكريم المضيف . ينظر المعجم الوسيط (مادة ج ف ن) .

(٦) أخبار مكة للفاكهي : ٢/٣٤٠ رقم ١٦٢٨ .

عبيد الله خصالاً أتم وأشمل ، اتصف بها عبد الله بن عباس ، حيث نوه بغزارة علمه في الحديث ، وصواب رأيه ، وسمو خلقه . وأخبر أنه كان أعلم الناس بقضاء أبي بكر وعمر وعثمان ... وأعلمهم بالشعر ، والعربية ، وتفسير القرآن ، والفرائض . ثم قال عبيد الله : «ولقد كان يجلس يوماً ما يذكر فيه إلا الفقه ، ويوما التأويل<sup>(١)</sup> ، ويوما المغازي ، ويوما الشعر ، ويوما أيام العرب ...»<sup>(٢)</sup> .

ومجالس ابن عباس كانت نوعين : مجلساً يدخله الخاصة ، وآخر يدخله العامة .

وأنا مبين لكم في هذه الورقات كيف نشأ درس القرآن ، والدرس الحديثي والفقهي بمكة على يد ابن عباس ، وكيف تطور حتى وصل إلى الشافعي؛ ومحدثكم عن وضعية القضاء بمكة في هذه الفترة . وألحق بذلك كله ثلاث فقرات :

الأولى : الرحلة إلى مكة في طلب العلم .

والثانية : ظاهرة الابتداع في علماء مكة .

والثالثة : فن القصص بمكة .

وأختم بالنتائج التي توصل إليها البحث . وبالله التوفيق .



(١) أي : التفسير .

(٢) طبقات ابن سعد : ٢٨ / ٢ .